٢ ـ شاعر مجهول

للأستاذ حسني كنعان

شاع في سورية أن قوة كثيفة قادمة من الأناضول التركي يتقدمها كبار القادة والصدر الأعظم قد أعدها السلطان للقضاء على جيش إبراهيم باشا والقضاء على حركته التحريرية قبل أن يستشري شرها ويستفحل أمرها. وما كادت تتخطى هذه القوة حلب وتصل إلى منبج حتى تلقتها أيدي الصقور المصرية، فأسرت القادة ثم أسرت الصدر الأعظم نفسه، فتمزق ذلك الجيش الذي أطلقوا عليه جيش الخلاص والإنقاذ، ففر من فر منه عائدا إلى تركيا، وأسر من أسر من أفراده، فكانت هذه النكسة للأتراك بمثابة فضيحة كبرى طمعت الدول الأجنبية بهم، وجعلتهم يطلقون على الدولة العثمانية الرجل المريض، فأزمعوا تقسيمها منذ رأوا أن عاملا من ولاتها استطاع أن يغلبها على أمرها ويضطرها إلى الاستعانة بهم. وكان من أمر الأجانب المستعمرين الطامعين ما كان من التدخل المعلوم في شؤون الدولة العثمانية، وتغيير وجه التاريخ، ولولا ذلك التدخل لرفرف العلم المصري فوق سراي يلديز مقر سلاطين آل عثمان ولتحررت البلاد العربية جميعها، فاستدعى محمد علي ولده إبراهيم إلى القاهرة ليتداولا في الأمر، وكان معه شاعرنا الجندي الذي سبقه اسمه إلى مصر وذاع خبره فيها، لأن قصائده في مدح الباشا القائد ووصف معاركه قد تناقلتها الأيدي وتداولتها الأسماع، فلقي هناك من حفاوة شعراء ذلك العصر وأدبائهم ما جعله مغتبطا مسرورا بهذه الزيارة، فمدح مصر ومدح أميرها بما جعله مرموقا في أعين أمرائها وزعمائها. ومما قاله في مدح محمد علي الكبير من قصيدة جاء فيها

سرت والنور يغشاها سحيرا ... وعرف الملك يصحبها مليا
وسرت متابعا باللثم منها ... مواطئ نعلها الرطب الزكيا
إلى أن أجلستني فوق عرش ... لدى قصر حوى روضا بهيا
ذكرت لها الأفاضل فاستهلت ... بمن لأبي الحسين غدا سميا
إماما عارفا برا تقيـــا ... خفاجيا كريما أريحيا
إذا ما قال أما بعد يبدي ... لنا إيضاحه المعنى الخفيـــا
به منذ شرفت ضعياط قدرا ... كساها المجد ثوبا سندسيا
أعار الزهر أحنف بن قيس ... وفاق بحسن سيرته الثريا
يمر على البلاد كنيل مصر ... فيروي أهلهـــا حيا فحيا
نعم أم الزمان غدت عقيما ... إذا عن مثله فاقصر أخيـا

فروسيا صديقته وإيطاليا. كذلك إذ بر بوعده لها وأعطاها البندقية. وأما النمسا فكانت لا ترى نفسها في حالة تدفعها إلى الدخول في حرب جديدة

بقيت إنجلترا وهذه لا تهتم إلا بالبلجيك، وسياستها تعمل دائما على منع وقوع بلجيكا في يد دولة معادية سواء كانت فرنسا أو ألمانيا. طالب نابليون الثالث بمكافأته حتى يتعلى مركزه في فرنسا، ولكن بسمارك رفض إعطاءه أراضي ألمانية أو بلجيكية، ونشر مكاتبات نابليون فأثار الشعور الألماني ضده وأثار الإنجليز وهكذا بقيت فرنسا وحيدة

بعد هذا عمد بسمارك إلى إثارتها واتخذ من مسألة النزاع حول العرش الإسباني سببا في إشعال الحرب. واندفعت فرنسا فسقطت في الهوة التي حفرها بسمارك. وقامت الحرب وسرعان ما هزمت الجيوش الفرنسية في كل مكان وسقطت إمبراطورية نابليون الثالث غير مأسوف عليها. وتقدم الألمان واحتلوا باريس وتوج الملك ولهلم إمبراطوراً لألمانيا في قصر فرساي في ١٨ يناير سنة ١٨٧١

وهكذا تم الاتحاد الألماني بقوة الدم والحديد

ومنذ قيام ألمانيا الحديثة أصبحت إحدى الدول الكبرى التي تتحكم في مصير العالم، وقد ظل وزيرها بسمارك يسيطر على السياسة الدولية ويدير دفتها حتى عزله الإمبراطور ولهلم الثاني، ومما لا شك فيه أن بسمارك يعتبر أستاذ الساسة الألمان وأبرعهم؛ فقد كان يرسم خطة المعركة قبل خوضها ويحيطها بالعوامل التي تكفل له النصر. وعلى نهجه حاول هتلر أن يسير، ولكن التوفيق جانبه في النهاية، بينما لازم التوفيق بسمارك طوال حياته

الكلام بقية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية بمعهد الثانوية

لنحو علاك بنت الفكر وافت وغيرك لم تجد خلا وفيا
فهب تقصير شعرى لاعتراف أيا من فاق فى الفضل الرضيا
فإنى فيك قد شرفت نظمى وجئت أروم منحا أخرويا
وصل مسلما دوما على من علا بالجسم مرتبة الثريا
وآل ما البديعة فى خباها بدت شمسا وماست سمهريا

فكان لهذه القصيدة تأثيرها الحسن لدى الأمير المصرى الكبير وكان لها وقعها وصداها

مكث الجندى مدة فى القاهرة يتمتع بعطف الأسرة العلوية ويرتع فى خيراتها ومبراتها ؛ ينظم فيها القصائد ويضع القدود والموشحات ، وكان طوال إقامته فى مصر كعبة قصاد أهل الفن، أخذ عنه أرباب الفن كثيرا من الموشحات والمواويل والقدود والأدوار والقصائد ، فلحنوها هناك . وكانت لهم بمثابة مادة فنية جديدة أكبوا على تلحينها والتغنى بها مدة من الزمن أفاضت على القطر لونا جديدا من ألوان الغناء؛ فيها المتعة واللذة والمعانى المبتكرة الأخاذة ، ولا تزال موشحاته وقدوده تستعمل فى المغنى القديم حتى الآن دون أن تعرف أنها من نظمه ووضعه ، منها موشح

يا غزالى كيف عنى أبعدوك (من نغمة الأصبهان)

ومنها موشح تيمتنى هيمتنى (من نغمة البياتى)

ومنها موشح أهوى الغزال الربرى باهى الجمال من نغمة الحجاز التى نشرت فى الرسالة سابقا . ومن الموشحات المشهورة التى لم تنشر هنا بعد قوله من نغمة البياتى - نواه

يا صاح الصبر وهى منى وشقيق الروح نأى عنى
بالحسن يفوق على الند إن ماس بأثواب الند
وحسام لواحظه الهندى قد جرد من غمد الجفن
شمس بأطالسها حلت وبنهد ذوائبها حلت
وبشهد مباسمها حلت للكأس فما بنت الدن
بلطافة معناها رقت ولمجد محاسنها رقت
ولفرط تحولى مذ رقت لطفا أحسنت بها ظنى
زارت والسهر يصحبها وسحاب الدور يحجبها
وإذا ما لاح منقبها أبصرت الشمس على الغصن
ما أحلى حين أشاهدها وبما ترضاه أناشدها
واجلى للقلب مشاهدها من راجى الغفلة والظن

وهناك موشحات فى الديوان أرى من الفائدة الإتيان على ذكرها فى هذه الكلمة تتمة للفائدة : منها موشح من نغمة الرصد : مطلعه

الحب فى صدق النيه خير الصفات المرضيه
قد لذ لى صافى الشرب فى حانة الباز الأشهب
وصار لى نعم المذهب هجر السوى بالكليه
طابت ليالى الأفراح وراق خمر الأقداح
وقد زكا للأرواح نشر الرياض الأنسيه
سلطان أهل التحقيق بعد الإمام الصديق
ما حى ظلام التعويق راق مقام الفطبيه
مالى إذا عز الناصر إلا حمى عبد القادر
راعى الحمى البحر الزاخر سر المعانى القدسيه
إن كنت معنا فانبعنا واصبر على البلوى معنا
وإن تسل عن ذى المعنى هذا طريق الصوفيه
صلاة مولاى البارى على النبى المختار
والآل عد الأمطار أزكى صلاة مرضيه

هذا لون من ألوان الموشحات الصوفية المتداولة لدينا حتى الآن فى حلقات الأذكار ، أوردته دليلا على صوفية شاعرنا وهوايته فى هذا المذهب . ولقد كان أهل زمانه يضعونه فى مصاف الأقطاب أهل الكشف أصحاب الكرامات . وقيل إنه زار حلب فى سنة من السنين وكانت سنة ماحلة مجدبة ما بضت السماء بقطرة مطر واحدة ، فخرج الحلبيون إلى العراء يستسقون ويستغيثون وكان هذا الجندى فى طليعتهم ، فنظم فى الحال موشحه المشهور الذى نشرته الرسالة سابقا ومطلعه

ياذا العطا ياذا السخا ياذا الوفا
إسق العطاش تكرما فالعقل طاش من الظما

إلى آخر الأبيات ، ويذكر الطاعنون فى السن فى بلادنا الشامية نقلا عن آبائهم وأجدادهم ، أن موكب المستغيثين ما كاد يصل إلى المدينة راجعا من العراء حتى جادت السماء بغيث مدرار لم تحصل عليه التربة الحلبية منذ عشرات السنين ، وبهذا أنقذ

مع شوقي الخالد :

مسرحية مصرع كليوباترا

تتمة ما نشر في العدد الماضي

للأستاذ حسين كامل عزمي

ثم يضرب شوقي ضربته النفسية الرائعة ، المؤثرة ، البليغة . في إسداله ستائر الموت على الجو الأخير ، بنشيد الموت .. حتى إذا ما انتهى نشيد الموت ، وضمن الشاعر تهيئة الجو النفسي للجمهور ، يدخل القائد بالمعاهدة المهينة . فيضمن الشاعر بذلك سخط الجمهور على الدخيل ؛ ثم يجري على لسان القائد تلميحا ، كالسهم الموجع ، يمس الأنثى المكينة « كما صورها شوقي » فيضمن أيضا ثورة الجمهور ، متضمنة عطفا انفعاليا غير واع على البطلة ... ثم يأتي تصوير الانتحار .. الملكة متخاذلة ، ضعيفة ، مسكينة ، تصادم الحراس ، وتتلقى تجريح القائد ، وتتعاطف مع الخدم ، و .. وتذوى في نشيد الموت ...

ثم تفاجئ زنبقة في الآنية .. ولكم أحسن شوقي تصوير كليوباترا الأنثى في هذا الموقف .. فها هي ذي منحنية على زنبقة في أصيص ، تتعاطف مع الطبيعة الصامتة شاعرة ، متصوفة — ما أبعدها عن كليوباترا التاريخ الخاطئة — اسمعها تقول :

زنبقة في الآنيه ضحية الأنانيه
جئت عليها غربة الـ أمر الأكف الجانيه
وبدلت من سعة الربوة ضيق الباطيه
يسقونها من جرة بعد العيون الجاريه
يا جارتا شأنك لا يشبه إلا شانيه
لم يبق من ملكي العريض غير دار خاويه
وكنتا ذابلة عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغنا من حياة فانيه

وبعد .. فكليوباترا أم لا تقوى على مواجهة طفليها وحدها فتستند إلى شرميون قائلة :

لما انثنى في حلة من سندس قالت غصون البان: ما أبقى لنا؟
وبثغره وبخده وعذاره معنى المذيب وبارق والمنحنى
أقسى على من الحديد فؤاده ومن الحرير تراه خدا ليننا
يا قلبه القاسي ورقة خصره هلا نقلت إلى هنا من ها هنا
شبهته بالبدر قال ظلمتني يا عاشق بالله ظلما بيننا
من أين للبدر الأتم ذوائبا أو مقلة أو ورد خد يجتنى
البدر ينقص والكمال لطلعتي فلذاك قد أصبحت منه أحسنا
لو أن رقة خصره في قلبه ما كان جار على المحب ولا جنى

هذا نوع من أنواع أشعاره في الغزل وهي كثيرة لا يحصى لها عد ، أقل ما يقال فيها أنها وإن كانت قديمة لا تتمشى مع رغبات أبناء العصر الحاضر ، إلا أنها في ثنايا حشاشة شاعر تكاد تذوب رقة وتقطر حلاوة وفنا

يتبع

دمشق — عيسى كنعان

الموسم .. وكانت سنتئذ تعد من السنين المخصبة المرعة لديهم . ولهذا لا يزال الحلبيون حتى الآن يفزعون إلى العراء كلما ضنت عليهم السحب بالأمطار ، ينشدون هذه الموشحات إذ يعتقدون فيها الخير والبركة ... ولكن الخير والبركة بعيدتان عن أهل هذا العصر الذي طغى عليهم فيه الكفر والإلحاد ... فلم تعد تفيدهم في ضن مواسمهم وشحها لا توسلات إسق العطاش ولا بل الفراش ... فديوان شاعرنا قد حوى الكثير من أمثال هذه الموشحات التي يضيق المقام من سردها. وأما في الأشعار الغزلية فلقد فاضت قريحة الشاعر المطبوع بالشيء الكثير ، ومن أغرب ما رأيته فيها قوله من قصيدة له مشهورة مطلعها

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا وتقلدوا عوض السيوف الأعينا
وتبادروا للعاشقين فكلهم طلب النجاة لنفسه إلا أنا
لا خير في جفن إذا لم يكتحل أرقا ولا جسد تجافاه الضنا